خصائص التأليف اللغوي الأندلسي في ق4هـ (أبو بكر الزبيدي أنموذجاً)

المشرف الأستاذ الدكتور : امحمد خان
طالبة دكتوراه : بثينة شيحي
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة بسكرة- (الجزائر)

ملخـــص:

يهدف هذا المقال إلى التعريف بخصائص التأليف اللّغوي في بيئة الأندلس بعدّها مدرسةً نحويّةً قائمةً بذاتها، وإلى إبراز أهمّ مميزات التفكير اللغوي في القرن الرّابع الهجري من خلال عَلَمٍ بارز من أعلامها، وهو أبو بكر الزُّبيدي ت 379هـ، من خلال كتابه الواضح الذي يعدّ من بين أهمّ كتبه لكونه كتابا في اللّغة بنحوها وصرفها وصوتها، كما سنحاول توضيح منهج الزُّبيدي في طرحه للقضايا.

Abstract:

This article aims to shed light on al-Andalus environment as a grammatical school that stands-alone, and to highlight the most important grammar properties in the fourth century by a prominent figure of, Abu Bakr al-Zubaidi, T. 379 e, through his book, which is among the most important books for being a book in the grammar of the language and we will try to clarify the approach of Zubaidi and how he treats issues

نشأ النّحو العربي من تفشّي ظاهرة اللّحن في اللّغة العربيّة عموما، وفي القرآن الكريم خصوصا، هذا ما أدّى بالعارفين والغيورين عليها السعي لإيجاد حلول تهدف لحفظها من الفساد والضياع، وفي هذا قال أبو بكر الزّبيدي في الطّبقات:"ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها في صدر إسلامها وماضي جاهليّتها حتى أظهر الإسلام على سائر الأديان فدخل الناس فيه أفواجا، و أقبلوا إليه أرسالا، و اجتمعت فيه الألسنة المتفرّقة، و اللّغات المختلفة، ففشا الفساد في اللّغة العربيّة واستبان منه في الإعراب الذي هو حليتها، و الموضّح لمعانيها، فتقطّف لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام النّاطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب، فعظم الإشفاق من فشوّ ذلك وغلبته حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى أن سبّبوا الأسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه".1

ومن هنا كانت الحاجة ماسّة إلى وضع نظام يحكم هاته اللّغة، و يحافظ على نقائها من اللّحن الذي يعدّ من الأمور المشينة، و من ذلك تملي علينا بعض الروايات:"أنّ رجلا لحن بحضرة الرّسول صلّى الله عليه و سلّم فقال صلّى الله عليه و سلّم: أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ "2 .

انطلاقا من هذا يطرح المقال الإشكاليات الآتية : ما هي خصائص التأليف النّحوي في بيئة الأندلس ؟ ما هي الميزات التي اتّسم بها الدّرس اللّغوي في بيئة الأندلس عموما ؟ وعند أبي بكر الزّبيدي أنموذجا ؟ ما المنهج النّحوي عند الزّجل ؟.

تثبت المصادر أنّ النّحو نشأ في العراق لأسباب عدّة منها: "كونها ملجأً للعجم قبل الفتح الإسلامي، و بعد الفتح أقبل عليها المسلمون عربا و عجما إذ أنّها تمتاز بأسباب الحياة النّاعمة و رغد العيش و كونها أيضا أكثر البلاد العربية إصابة بوباء اللّحن وتعرّضا لمصائبه بسبب هذا المزج بين العرب و العجم " 3 .

وتعدّ البصرة بالتّحديد هي المنشأ الأوّل للنحو كما نعلم لأنّها:"أسبق مدن العراق اشتغالا بالنّحو، حيث احتضنت النّحو زهاء قرن من الزّمان قبل أن تشتغل به الكوفة التي كانت بدورها أسبق من بغداد فالبصرة هي التي شادت صرح النحو،و رفعت أركانه

بينما كانت الكوفة مشغولة بقراءات الذكر الحكيم و رواية الشعر و الأخبار. و يصرّح ابن النّديم في حديثه عن نحاة الكوفة و البصرة،"إنّما قدّمنا البصريين أوّلا لأنّ علم العربية عنهم أخذ، ثمّ اشترك علماء البصرة و الكوفة في النّهوض بالنّحو من عهد الخليل شيخ الطبقة الثانية من البصريين و أبي جعفر الرؤاسي شيخ الطبقة الأولى من الكوفيّين حتّى نمت أصوله و كملت عناصره في مستهلّ العصر العبّاسي الأوّل على يد المبّرد خاتم البصريّين وثعلب خاتم الكوفيّين"4 .

أمّا عن بيئة الأندلس فقد اختلفت أسباب نشأة النّحو عندهم ذلك أنّه " نشأ من حاجة المؤدّبين الذّين يعلّمون الشباب النّحو ليساعدهم في فهم القرآن.والحفاظ عليه فرحل فريق منهم إلى المشرق وتتلمذوا على علماء البصرة و الكوفة ثمّ عادوا إلى موطنهم بعد أن نهلوا من علم علماء المشرق5 " .

صحيح أنّ علماء الأندلس اعتمدوا على كتب نحّاة البصرة و الكوفة ، وخاصّة كتاب سيبويه من البصرة و كتب الكسائي من الكوفة و لكنّهم أبدعوا في كثير من الأحايين و في هذا قال محمّد الطنطاوي : " و تقضي البداهة أنّ إنعام الفكر في المسائل موح و ملهم باستكمال بعض النّقص الفائت، و هذا ما كان من الأندلسيّين بعد استغنائهم عن المشارقة و اعتمادهم على أنفسهم فإنّهم عدلوا عن بعض آراء المشارقة في النحو و خالفوهم في منهاج تعليمه و تدوينه و استدركوا عليهم مسائل فاتتهم و بذلك استحدثوا منهجا رابعا عرف بمذهب المغاربة و الأندلسيين " 6 .

و نحن في هذه المقال نحاول تسليط الضّوء على علم بارز من أعلام المدرسة الأندلسية لما له من مؤلّفات قيّمة لم تعن بالدّراسة و التّحليل الكافي، وهو أبو بكر الزّبيدي (ت379هـ) و اسمه الكامل "أبو بكر محمّد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج بن محمد بن عبد الله بن بشر، الزُّبيدي، الإشبيلي، الأندلسي، النّحوي اللّغوي، الفقيه، المحدّث الشاعر "7 .

أوّلا : الزبيدي ، مؤلّفاته ،مكانته العلمية :

1- مولده :

"ولد أبو بكر الزّبيدي بإشبيلية سنة 316هـ. و أصله من حمّص الشّام أخذ العربية و

آدابها عن أبي علي القالي البغدادي، و أبي عبد الله محمّد بن يحي الرّباحي. و أخذ الفقه و سمع الحديث عن قاسم ابن أصبغ، و سعيد بن فحلون و أحمد بن سعيد بن حزم و لمّا اشتهر علم الرّبيدي، اختاره الخليفة المنتصر بالله الحكم ابن عبد الرحمان مؤدّبا لابنه ووليّ عهده هشام في قرطبة، ثم تولّى القضاء وشغل منصب صاحب الشرطة 8 .

2- مكانته العلميّة :

أجمع اللّذين ترجموا للزّبيدي، على الثناء على علمه و فضله، و أنّه تبوّأ مكانة رفيعة في علوم العربيّة .

قال عنه : الثعالبي "كان أحفظ أهل زمانه للإعراب و الفقه و اللّغة و المعاني و النّوادر.

و قال الحميديّ " أنّه من الأئمة في اللّغة و العربيّة "

وقال ابن الفرضي "كان واحد عصره في علم النحو "

وقال ابن خلكان "كان واحد عصره في علم النحو و حفظ اللّغة، و كان أخبر أهل زمانه بالإعراب و المعاني و المعاني و النّوادر، إلى علم بالسيّر و الأخبار و لم يكن بالأندلس في فنّه مثله في زمانه.

وقال عنه الفتح بن خاقان " إمام اللّغة و الإعراب، كعبة الآداب، نجم الأندلس ، في إقبالها اتّفقت على تفضيله الجماعة . 9

3- مؤلّفاته :

أمّا عن مؤلّفاته فإنّه لم يؤلّف الكثير،و لكن على قلّة هذه المؤلّفات هي ثمينة جدّا نذكر منها :

الواضح في علم العربيّة، مختصر كتاب العين، أبنية الأسماء و الأفعال أو الاستدراك على سيبويه، طبقات النحويّين و اللّغويّين، لحن العامة، هتك ستور الملحدين، استدراك الغلط الواقع في كتاب العين و الآن سنسلط الضوء على كتاب الواضح دون الكتب الأخرى ذلك أنّه كتاب في اللّغة بصوتها وصرفها ونحوها محاولين استنتاج خصائص تأليفه في هذا الكتاب و عن اتجاهه ، و ما الآراء التي شاطر فيها نحاة البصرة و الآراء التي تبنّاها من نحو الكوفة و ما أساس ذلك ؟و ما المواضع التي رجّح فيها رأيه ؟ و ما منهجه في طرح القضايا ؟، خاصة النّحوية لأنّها أكثر المواضيع في الكتاب .

وقد قال عن هذا الكتاب أحد الباحثين " عدّ كتاب الواضح أوّل مؤلّف في النّحو المغربي و الأندلسي ".10

لقد تعددّت آراء الزّبيدي بين الموافقة لرأي البصرة و الآراء الموافقة لنحو الكوفة و منها ما تفرّد فيها برأيه الخاص الذي فضّل ترجيحه على أسس تتماشى و أهدافه التي رمى إليها في صناعة هذا الكتاب .

لقد طغى على هاته الفترة من الزّمن التّأليف التّعليمي الذي يهدف إلى تسهيل و تبسيط النّحو للنّاشئة، و في هذا قال ابن حزم الأندلسي: "و أمّا التعمّق في علم النحو، ففضول لا منفعة بها بل هي مشغلة عن الأوكد و مقطعة دون الأوجب و الأهمّ ، و إنّما هي تكاذيب في وجه الشغل بما هي صفته؟و أمّا الغرض من هذا العلم فهي المخاطبة، و ما بالمرء حاجة إليه في قراءة الكتب المجموعة في العلوم فقط، فمن يزيد في هذا العلم إلى أحكام كتاب سيبويه فحسن إلاّ أنّ الاشتغال بغير هذا أولى و أفضل لأنّه لا منفعة للتزيّد على المقدار الذي ذكرناه، إلاّ لمن أراد أن يجعله معاشا، فهذا وجه فاضل، لأنّه باب من العلم على كلّ حال. "11

إذن يصرّ ابن حزم الأندلسي على الغاية الأولى و اللّازمة لعلم النّحو ألا و هي تعليم الناشئة .

ثانيا : خصائص التأليف عند الزبيدي :

1- ***الاستشهاد بالأمثلة البسيطة و السّهلة :***

عند تصفّحنا لكتاب الواضح وجدناه يستشهد بالأمثلة البسيطة نحو قوله: " رجل و فرس، بكر، الغلام "12 و نحو قوله "يضرب، يقوم "13 و نحو قوله "ذهب زيد، و خرج الرجل "14و نحو قوله "ضرب زيد عمرا، سمع ابوك كلامك، لقي زيد الصالحين "15 إذن اعتمد الزبيدي الاستشهاد بالكلام العادي و البسيط و تجنّب الاستشهاد بالقرآن الكريم و الحديث النّبوي الشّريف و كلام العرب شعرا و نثرا، و هذا لا يعكس أمرا سلبيا لموقف الزّبيدي لأنّه في كتابه لحن العامة اعتمد عليها جميعا ذلك أنّ الغايات من الكتابين مختلفة، فالواضح كتاب تعليميّ و لحن العامّة كتاب علمي .

2- محاولته تبسيط القواعد للنّاشئة :

_قوله في صفة إعراب الكلام

قال أبو بكر الزّبيدي "الإعراب يقع في الأسماء و الأفعال المعربات وهو على أربعة أضرب على الرّفع والنّصب والخفض و الجزم .

فصفة الرفع قولك : رجل، ثوب، زيد، و الغلام و الفرس و يضرب و يقوم ونحوه. فإن قيل لك أين الرفع في قولك: رجل فقل: في اللّام لأنّها آخر الاسم و سائر الأسماء و الأفعال المذكورة كذلك .

و النصب قولك : رجلا، ثوبا، و يضرب و يقوم فإن قيل لك أين النّصب في قولك رجلا ؟ فقل في اللاّم لأنّه آخر الاسم و كذلك سائر الأسماء و الأفعال المذكورة ' والخفض:رجل،ثوب، الفرس و نحوه فإن قيل لك أين الخفض في قولك رجل ؟فقل في اللّام لأنّه آخر الاسم و كذلك سائر الأسماء 'و الجزم قولك اضرب و اسمع ولا تضرب و لم تضرب فإن قيل لك: أين جزم اضرب ؟ فقل في الباء لأنّه آخر الفعل و كذلك سائر الأفعال.

و من الأسماء أسماء يكون رفعها بواو في آخرها كقولك أخوك و أبوك و حموك وخوك وذو مال. الرفع فيها بالواو التي في آخرها، لأنّ الكاف من الاسم إنّما هي كاف المخاطب، و نصبها بالألف كقولك أخاك، أباك.....و خفضها بالياء كقولك: أخيك، أبيك....، وأمّا رفع الاثنين فبالألف كقولك رجلان فهذه الألف علامة الرفع في الاثنين و نصبها وخفضها بالياء المفتوح ما قبلها كقولك رجلين و فرسين ' فهذه الياء علامة للخفض في الاثنين و هي أيضا علامة للنصب فيهما، و اعلم أنّ نون الاثنين مكسورة أبدا ، وأمّا رفع الجميع الذي على حد التثنية فبالواو كقولك مسلمون و صالحون وما أشبه هذا، و نصبه و خفضه بالياء المكسور ما قبلها كقولك: مسلمين، صالحين و ما أشبه هذا. فهذه الياء علامة للخفض و النصب أيضا و اعلم أنّ نون الجمع مفتوحة أبدا "16

ممّا نلاحظه على رأي الزّبيدي في مسألة صفة إعراب الكلام أنّه حّدده بالأسماء والأفعال المعربات و جعله على أربعة أضرب الرفع و النصب و الخفض و الجزم و مثّل لكلّ صفة و حين تمثيله نجده يقول: إن قيل لك أين الرّفع في قولك: رجل؟ قل في اللاّم لأنّها آخر

الاسم و إلى آخره مع بقية الأمثلة، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على بوادر التبسيط من أجل تعليمية النّحو و تيسيره للناشئة ونجده لم ينح سبيل سيبويه هذا الأخير الذي فصّل الحديث في المسألة قائلا " مجاري أواخر الكلم من العربيّة وهي تجري على ثمانية مجار على النّصب و الجرّ و الرّفع و الفتح و الضمّ و الكسر و الوقف. و هذه المجاري الثمانية يجمعهنّ في اللّفظ أربعة أضرب، فالنّصب و الفتح في اللّفظ ضرب واحد، و الجرّ و الكسر فيه ضرب واحد و كذلك الرّفع و الضمّ و الجزم و الوقف. .."17

3- محاولته ربط الاصطلاحات النّحوية بدلالاتها في المعنى :

_قوله في الفاعل :

يذهب الزّبيدي بعيدا في تيسير القواعد و تقريبها إلى أذهان الناشئة و ذلك نحو قوله "إذا أخبرت عن شيء أنّه فعل فعلا ما و قدّمت فعله فارفع ذلك الشّيء لأنّه الفاعل الذي فعل. تقول ذهب زيد: ذهب: فعل ماض و زيد مرفوع لأنّه هو الفاعل الّذي ذهب و رفعه في الدّال لأنّه آخر الاسم. .. وتقول خرج الرّجلان: خرج فعل ماض و الرّجلان فاعلان و رفعها بالألف و كسرت النون لأنّها نون الاثنين و تقول قام المسلمون: قام فعل ماض، والمسلمون: فاعلون و رفعهم بالواو و فتحت النون لأنّها نون الجميع. ..فإن أخبرت في هذا الباب عن مؤنّث أدخلت التّاء في الفعل الماضي علامة للتأنيث فقلت: قامت جاريتك: قام فعل ماض، و التاء علامة التأنيث و جاريتك فاعلة و رفعها في التاء و الكاف للمخاطب18 .

ما يلاحظ كذلك أنّ الزّبيدي يحاول تقريب القواعد و تبسيطها وجعلها موافقة لما يتماشى مع دلالاتها في الواقع، حيث إذا كان الفاعل شخصا واحدا يعرب فاعل، و إذا كان الفاعل شخصان يقول فاعلان، و إذا كان أكثر أي ثلاثة فما فوق يقول فاعلون. و هذا رغبة منه في التيسير ولا أظنّ أنّ أحدا من السابقين قال بهذا.

_قوله في نائب الفاعل :

يقول أبو بكر الزّبيدي "إذا أوقعت الفعل على مفعول و لم تذكر الفاعل، فارفع المفعول و أقمه مقام فاعله في إعرابه، تقول ضرب زيد، ضرب: فعل ماض، و زيد: مرفوع لأنّه مفعول لم يسمّ فاعله فقام مقام الفاعل، و تقول سيكرم زيد، سيكرم: فعل مستقبل،

زيد: مفعول لم يسمّ فاعله و مثله: سيحفظ صاحبك و يبرّ أبوك "19
قال الزّبيدي بهذا الرأي طلبا لمقاربة الاصطلاح النّحوي بالواقع، فمثلا: ضرب زيد، زيد ليس بفاعل حقيقي فهو من وقع عليه فعل الضرب لذلك قال بأنّ زيد مرفوع لأنّه مفعول لم يسمّ فاعله .

_قوله في الأفعال الدائمة :

قال أبو بكر الزّبيدي " اعلم أنّ الأفعال على ثلاثة أضرب ضرب منها أفعال ماضية قد ذهبت و تقضّت، و هي مفتوحة الأواخر أبدا كقولك خرج و دخل و ضرب و سمع و مكث و تكلّم و انطلق و استخرج و استمع و ما أشبه ذلك .
و الضرب الثاني أفعال مستقبلة، منتظرة، لم تقع بعد، كقولك يخرج و يدخل و يستمع و يتكلّم و ينطلق و يسمع و ما أشبه هذا.

و الضرب الثالث أفعال واقعة في الوقت الذي أنت فيه لم تنقض ولا انقطعت بعد، كقولك : يصلّي و يأكل و يتكلم و يقرأ و يكتب و ما أشبه ذلك و هذه الأفعال تسمّى الدّائمة ولا تخلو هذه الدائمة و لا المستقبلة من الزوائد الأربع و هي الهمزة و التاء و النون و الياء كقولك: أضرب و تضرب و نضرب و يضرب و هي مرفوعة الأواخر أبدا، ما لم يعمل فيها عامل بنصب أو جزم"20 .

ويقصد من الأفعال الدائمة أنّها لم تأت و بذلك فهي في نطاق المستقبل بدلا من المضارعة .

4- آراؤه البصرية :

_قوله في باب أقسام الكلام :

" اعلم أنّ جميع الكلام اسم و فعل و حرف، الاسم قولك رجل، فرس، حمار، وزيد، و عمرو وما أشبه هذا و الفعل قولك: ضرب و خرج و انطلق و يضرب و يخرج واضرب واسمع و ما أشبه هذا، و الحرف هل، و بل،ونعم وما أشبه هذا "21
نلاحظ من تقسيم الزّبيدي للكلام أنّه اقتفى أثر سيبويه فهذا الأخير لم يعمد إلى تعريف الاسم أو الفعل أو الحرف بل ميّز بينهم بالتّمثيل فالاسم نحو: رجل و فرس و الفعل ضرب و خرج، و الحرف نحو هل و بل و نعم، و لكنّنا نجد سيبويه فصّل الحديث عن الفعل

حيث عرّفه بأنّه "أمثلة أخذت من لفظ أحداث أسماء و بنيت لما مضى ولما يكون و لم يقع و ما هو كائن لم ينقطع"22، ثمّ مثّل لكل نوع منها .

أمّا الزبيدي فقد فصّل الحديث عن الفعل في جزء لاحق واكتفى بالتمثيل عليه في تقسيم الكلام .

قوله في باب نعم و بئس

يقول الزبيدي "اعلم أنّ نعم و بئس فعلان ماضيان موضوعان للمدح و الذمّ لا يتصرفان تصرف الافعال لا يكون منهما مستقبل و لا فاعل ولا مفعول، و إنمّا يقعان على ماضيه الألف و اللاّم من الأسماء التي تدل على الأجناس أو ما أضيف إلى ما فيه الألف و اللاّم .

تقول : نعم الرجل و أخوك: نعم فعل ماض معناه المدح و الرجل رفع بنعم و أخوك ابتداء و خبره فيما قبله كأنّه قال أخوك نعم الرجل .

و قد يجوز أن يكون أخوك مرفوعا على انه خبر ابتداء مضمر كأنّه لما قال: نعم الرجل قيل له: من هذا الممدوح ؟ فقال: هو أخوك فهو ابتداء فهو ابتداء و أخوك خبر الابتداء " وان شئت ادخلت تاء التأنيث فقلت نعمت المرأة جاريتك و نعمت المرأتان اختاك .

و تقول فيما أضيف إلى ما فيه الألف واللام: بئس أخو القوم أنت و نعم صاحب الرجل زيد , وقد تقع أيضا نعم و بئس على أسماء مضمرة يفسرها ما بعدها: تقول: نعم رجلا زيد , فنعم فعل ماض , ورجلا نصبٌ على التفسير للمضمر الذي في نعم ،و زيد ابتداء و خبره فيما قبله ،ولا يكون الاسم المفسّر الاّ نكرة ، ولو قلت نعم زيد أخوك أو نعم قومك لم يجز لأنّ نعم و بئس لا يقعان إلّا على ما فيه الألف و اللّام من الأسماء أو ما أضيف إليها على ما أعلمتك " 23 .

وما نعرفه نحن أنّ هذه المسألة نشبَ عنها خلاف بين المدرستين حيث إنّ: " الكوفيين قالوا بأنّ نعم وبئس اسمان مبتدآن، و ذهب البصريون إلى أنّهما فعلان ماضيان لا يتصرّفان، أمّا الكوفيّون فاحتجّوا بقولهم: الدليل على أنّهما اسمان مبتدآن دخول حرف الخفض عليهما فانه قد جاء عن العربي أنّها تقول (ما زيد بنعم الرّجل) .

و قال حسّان بن ثابت رضي الله عنه :

ألست بنعم الجار يؤلف بيته أخا قلّة أو معدم المال مصرما

وحكى ابن الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب عن الفرّاء أنّ أعرابيا بشّر بمولودة فقيل له: نعم المولودة مولودتك فقال: و الله ما هي بنعم المولودة: نصرتها بكاء و برّها سرقة، فأدخلوا عليها حروف الخفض، و ذلك دليل على انّها اسمان لأنّه من خصائص الأسماء. .. الخ. "24 .

من هنا نخلص إلى أنّ الزّبيدي وافق الرأي البصري في هذه المسألة حيث قال إنّ نعم و بئس فعلان ماضيان لا يتصرّفان تصرّف الأفعال، لا يكون منهما مستقبل و لا فاعل و لا مفعول، أي أنّهما فعلان جامدان. و الذي يثبت أنّهما ليسا باسمين أنّ الاسم يعرف بدخول ال التعريف عليه و التنوين و هذان الشّرطان لا يصلحان على نعم و بئس .

قال الزّبيدي بإمكانية دخول تاء التّأنيث على نعم وهذا ما استدل به البصريون لإثبات الفعلية " لنعم وبئس" نحو قول صاحب الإنصاف :

" الدليل على أنّهما فعلان اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التي لا يقبلها احد من العرب في الوقف هاء، كما قلبوها في نحو " رحمة، سنة، شجرة" و ذلك قولهم " نعمت المرأة، بئس الجارية " لانّ هذه التّاء يختص بها الفعل الماضي ولا تتعدّدان، فلا يجوز الحكم باسمية ما اتصلت به "25 .

وهذا ما يوافق منطق اللّغة، لأنّ الزّبيدي غالبا ما ينحى برأيه إلى ما يوافق منطق اللّغة العربيّة، و إلى ما يتقبّله العقل البشري عموما، وخصوصا النّاشئة .

5 - آراؤه الكوفية :

ـ مصطلح الخفض

وهو اصطلاح كوفيّ في مقابل الجرّ عند البصريّين، قال الزّبيدي " الإعراب يقع في أواخر الأسماء و الأفعال المعربة وهو على أربعة أضرب: على الرّفع و النّصب و الخفض و الجزم "26

ـ مصطلح الجحد

وهو أيضا مصطلح كوفي يقابل النّفي وقد ورد عن الزّبيدي في قوله " وما كنت لأقوم لأخيك: ما حرف جحد و كنت فعل و فاعل. "27

_ مصطلح الكناية و المكنّى

في مقابل الضّمير عند البصريّن، وهو اصطلاح كوفي بحت. قال الزّبيدي " فإذا أخبرت عن نفسك أنّك فعلت فعلا فاسكن آخر الفعل الماضي، و ادخل كناية المتكلّم وهي تاء مضمومة لاصقة بالفعل . "28

إذن تبنّى الزّبيدي العديد من المصطلحات الكوفيّة و هذا يعود إلى اختياراته النّحوية .

6 الاجتهاد و الترجيح"آراؤه الخاصة " :

- قوله في مسألة حبّذا " الاجتهاد و الترجيح"

يقول أبو بكر الزّبيدي " وأمّا حبّذا فمعناها المدح و أصلها: حبّ ذا الشيء، فحبّ فعل ماض. وذا: اسم المشار إليه ثم كثر استعمالها حتى صار: حبّ وذا كلمة واحدة. وصارت "ذا"كالباء من ضرب، فارتفع ما بعدها من الأسماء بها، تقول حبّذا عبد الله، فعبد الله رفع بحبّذا، و كذلك حبّذا الرّجلان و حبّذا المرأة، وزعم قوم ان عبد الله ابتداء و حبّذا خبره و الذي قدمت أحبّ إليّ، فان وصلت الاسم بنكرة من صفاته نصبت فقلت حبّذا زيد راكبا، و حبّذا أخوك متكلّما، نصبت راكبا و متكلّما على الحال، و قال بعضهم على التّفسير "29 .

ما يلاحظ على قول الزّبيدي في حبّذا أنّ حبّ فعل ماض، ذا اسم المشار إليه، ورأيه أنّ لكثرة الاستعمال صارت ذا جزءا لا يتجزّأ من حبّذا و ضرب مثالا بالفعل ضرب و موقع الباء منه فشبّه ذا من حبّذا بالباء من ضرب. و يرى الزبيدي أنّ حبّذا فعل ماض، وما بعدها رفع بها،أي فعل و فاعل، ويدرج الرأي الآخر القائل بأنّ حبّذا " جملة في محل رفع خبر " وما بعدها مخصوصها مبتدأ نحو: حبّذا العلم. و في هذا قال صاحب المعجم المبين " حبّذا: هي لفظ مركب من الفعل الماضي "حبّ" و اسم الإشارة "إذا" و لها أحكام هي: 1 أنّها لإنشاء المدح، فأنت تقول لمن تريد أن تمدحه: حبّذا أنت " وتقصد انه محبب إليك لصفات تستحسنها فيه 2 أنّ "حبّ" فعل ماض جامد ليس له مضارع ولا أمر ولا مصدر ولا مشتق وان ذا فاعله 3 إنها لا بد لها من مخصوص بالمدح يكون مبتدأ، وخبره جملة "حبّذا "كقولك: حبّذا العلم"30 .

و رأي الزّبيدي يخرج كليّة عمّا أدرجه صاحب المعجم المبين فهو ينزع إلى

التبسيط و التسهيل وهذا تجنّبا لتعقيد القواعد على الطّلبة و التّاشئة، اعتبر حبّذا كلمة واحدة و هي فعل ماض وما بعدها فاعل، و هذه مسألة ربّما انفرد بها الزّبيدي و الله اعلم.

ـ قوله في المعرب و المبني من الأفعال :

نجد الزّبيدي لا يستعمل مصطلح المعرب و المبني بل يقول بالمعرب و غير المعرب حيث يقول "واعلم أنّ الأفعال الماضية مفتوحة الأواخر غير معربة، كقولك: مرّ و خرج وانطلق، وما أشبه ذلك، فأمّا الأفعال المستقبلة و الدّائمة فإعرابها الرّفع أبدا ما لم يقع عليها عامل بنصب أو بجزم و رفع السالمة منها بضمّ أواخرها، كقولك: يضرب و يتكلّم و يسمع و أسمع وما أشبه ذلك، و نصبها بفتح أواخرها كقولك: أن يضرب لن يستمع، و جزمها بإسكان أواخرها كقولك أن يضرب، لن يستمع و جزمها بإسكان أواخرها كقولك: لم يضرب لم يستمع "31 .

نستطيع القول بأنّ الزبيدي إنّما بهذا ينزع إلى التبسيط و التسهيل، وإلى تقليل المصطلحات على التّاشئة .

ـ قوله في مصطلح التبرئة

قال أبو بكر الزّبيدي "إذا نفيت بلا، اسما منكورا نصبته بغير تنوين، وجعلت لا و الاسم الذي تنفيه بها بمنزلة اسم واحد كمثل خمسة عشر، و موضع ذلك الاسم رفع بالابتداء، و لا بدّ له من خبر، و ربّما جاء الخبر محذوفا و هو في نيّة المتكلّم تقول: لا رجل في الدّار، لا حرف تبرئة، رجل: نصب بالتبرئة، وفي الدّار: مجرور فيه خبر التبرئة. "32

ـ قوله الجميع بدل الجمع :

قال أبو بكر الزّبيدي "و أمّا رفع الجميع الذي على حدّ التثنية فبالواو كقولك: مسلمون وقاعدون و ما أشبه هذا فهذه الواو علامة الرّفع في هذا الصّنف من الجميع. 33"..

7 - الكتاب شامل لقضايا اللّغة :

بتصفّحنا للكتاب وجدناه شاملا لمسائل اللّغة من نحو و صرف و صوت، ومن القضايا النّحوية التي عالجها: باب أقسام الكلام، باب صفة إعراب الكلام، باب ذكر الأفعال، باب أدوات الخفض،باب الإضافة، باب النّعوت، باب العطف، باب الابتداء

و خبره، باب الحروف الخمسة التي تنصب الأسماء و ترفع الأخبار، باب الأفعال التي ترفع الأسماء و تنصب الخبر، باب الحروف التي ترفع ما بعدها من الأسماء و الأخبار، باب الأفعال المعربة و غير المعربة، باب الجزم الخ، ومن القضايا الصرفية: باب ما لا ينصرف من الأسماء، باب اسم الفاعل، باب الصفة المشبّهة، باب التصغير الخ، كما عني بالقضايا الصوتية نحو: الإمالة، باب إدغام الحروف بعضها في بعض، باب ما يدغم بعضه في بعض،باب ما يدغم من الحروف في غيره و لا يجوز ان يدغم فيه غيره، و ما لا يجوز أن تدغمه، باب النّون الخفيفة و التنوين في الإدغام، باب و جوه القوافي في الإنشاد و الحداء.

نخلص في الأخير إلى أنّ الزّبيدي لم يتّبع مدرسة معيّنة و مشى على خطاها، إنّما كان يأخذ من كلّ مدرسة ما يراه الأصحّ، و ذلك على أساس ما يوافق غاياته من الكتاب وهو تعليم النّاشئة.

- سلك الزّبيدي منهجا تعليميّا بتبسيطه للقواعد ليتسنّى للمتعلّمين فهمها.
- نظر للغة على أنّها كلّ متكامل، فحوى كتابه مسائل النّحو و الصرف و الصوت.
- يذهب إلى ترجيح رأيه لتسهيل القواعد المعقّدة في مثل مسألة حبّذا التي اعتبرها كلمة واحدة.
- محاولاته ربط الاصطلاحات النّحوية بما يوافقها في المعنى كمسألة الفاعل و نائب الفاعل.
- عدم استشهاده بالقرآن الكريم واستشهاده بالأمثلة البسيطة و هذا ما يتوافق مع أهدافه في هذا الكتاب أي التبسيط، إذ أنّه في كتابه لحن العامّة استشهد بالقرآن و الحديث و كلام العرب شعره و نثره .
- منهجه تعليمي .
- ابتعاده عن التعليل النّحوي .
- محاولاته التقليل من المصطلحات النّحويّة في مثل مسألة المعرب و غير المعرب .

الهوامش والمراجع والمصادر :

1 : أبو بكر الزّبيدي، طبقات النّحويّين و اللّغويين، تح: محمّد أبو الفضل ابراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص11 .

2 : ابن جنّي، الخصائص،تحقيق: محمد علي النجار، ج2،د ت، د ط،ص08.

3 : ابراهيم عبّود السامرّائي، المفيد في المدارس النحوية، دار المسيرة، عمّان، الأردن، ط1، 2007، ص 23.

4 : شوقي ضيف، المدارس النّحوية، دار المعارف، القاهرة، ط7، ص20.

5 : إبراهيم عبّود السّامرّائي، المفيد في المدارس النحوية، ص 163..

6 : محمّد الطّنطاوي، نشأة النّحو و تاريخ أشهر النّحاة، دار المعارف، القاهرة، ط2 ص 220 .

7 : أبو بكر الزّبيدي، لحن العامّة، تحقيق: عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، 1980، ص 6.

8 : أبو بكر الزّبيدي، لحن العامّة، ص 7.

9 : أبو بكر الزّبيدي، لحن العامّة، ص 7.

10 : عمّار ربيح، مدرسة النحو في المغرب و الأندلس خلال القرنين السابع و الثامن الهجريّين، بحث في المصطلح و المنهج و الوظائف، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في علوم اللّسان، 2008 _2009، ص 29.

11 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، تحقيق: عبد الكريم خليفة، دار جليس الزّمان عمّان 2010، ص21.

12 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص47.

13 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 50.

14 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 50.

15 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 53.

16 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 47_49 .
17 : سيبويه،الكتاب،تحقيق عبد السّلام هارون، ج1، مكتبة الخانجي، ط1، 1988، القاهرة، ص 2 .
18 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 50_51 .
19 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص57 .
20 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 49_50 .
21 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص. 37
22 : سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 12.
23 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 113.
24 : ابن بركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، تحقيق: جودة مبروك محمّد مبروك، مراجعة: رمضان عبد التوّاب، مكتبة الخانجي، القاهرة،ط 1، 2002، ص 86.
25 : ابن بركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ص90_91.
26 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 47.
27 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 88 .
28 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 72.
29 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص 114.
30 : جرجس ناصيف، المعجم المبين، موسوعة في أدوات النّحو و شوارده، تدقيق الدكتور جوزيف إلياس، دار النّمير للطباعة و النّشر، دمشق سوريا، ط1، 2010، ص 195 .
31 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص81 .
32 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص111.
33 : أبو بكر الزّبيدي ، كتاب الواضح، ص111 .